مذكرة نوفمبرية

Novemberist Note

إيمان الحُريبي

الإهداء

إلى أبي الصديق الناصح والأب المُربي والحبيبُ الأبدي الذي أستمد قوتي من ضحكته

إلى أمي الشمس الدافئة التي منحتني الحياة كلها دون مقابل والتي تُمهد لي طُرقات الحياة بدعواتِها.

"هذه المذكرة عبارة عن حروف طارت شاردة في سماء فُؤادي فصطادها قلمي وجعلها حبيسة السطور لم أكن بكل هذا الأسى والحزن ولم يكن نُوفمبر بكل هذه القساوة"

(الأول من نوفمبر)

أهلاً نوفمبر إنها الساعة الثانية عشر بعد مُنتصفِ الليل بداية مُرهقة عاماً بعد آخر يأتي مُحملاً بخزائن الألم ، لم يعد لدي ما يكفي من الطاقة فيك فقط أشعر أن أثقال العالم على أكتافي أُقاوم فيك اليأس المزمن والحزن الذي لا ينتهي ، فيك يُصبح قلبي كبركان يكاد ينفجر من كثرةِ الألم وكأنه أرض وقد بلغت من الحرارةِ الإنشطار هذه المرة عليك أن تكون خفيفا مر بهدوء فحسب.

(الثاني من نوفمبر)

أصبحت لا أرفع إلا الصادق، ولاأضم إلا الوفي إلى قلبي ، وأُميز صحيح القلب من الذي في أعماقه عِلة وابتعد عن أولئك الذين يمتلكون وداً مبني للمجهول معطوف على الخيانة ومستترين لا تقدير لهم في الحياة ، وأترك الذي يُجيد نصب مشاعري تاركاً قلبي ورائه مكسوراً يجر أذيال خيبته جراً لو كنتُ بحثتُ كل يوم في سطرِ الحياة على أولئكَ المتصليين بالأمل بإستمرار لما كنتُ الآن مضافة إلى أيام من الحزن والأسىء.

(الثالث من نوفمبر)

أُحاول المقاومة أحاول التخلي عن هذه الملامح اليأسة ،
ويداي المرتجفتان من الخوف ، لا أُريد شيء إلا أن أمتلك
أجنحة وأُحلقُ بعيداً بين الغيوم تحتضنني السماء بزُرقتها وفي
نهاية اليوم أستريح على غصنِ شجرة في قمةِ تل لايمرُ بجانبها
أحد.

(الرابع من نوفمبر)

في غابةِ فُؤادي قِتال بين ذئاب من اليأس والحزن والإحباط و الألم تُرعبني تغرزُ أنيابها على بقايا الأمل ، وتلتهم فرحي ، تقتل أي تفاؤل يقترب، إنها تلوث فُؤادي بالدماء.

(الخامس من نوفمبر)

عشرون عاماً بين رجفةِ يأس ونبضةُ أمل بين دمعةِ حزن وإبتسامة فرح عشرون عاماً من التخبط في أراضي نوفمبر القاحلة ، تثاقلت عليَّ الأحمال عاماً بعد آخر جروح تؤذي روحي ، دمار شامل يُحاط بي ، الرعب يُصيب قلبي عاماً بعد آخر

ماذا بعد يانوفمبر؟

متى ستنتهي؟

لم تعد الحياة صاخبة كل ما أريده الآن الهدوء..... الهدوء فحسب والعيش بسلام فقد مر عليَّ عشرون عاماً ومر على قلبي أضعاف تلكَ الأعوام فما زاده الحزنُ إلا المشيب وهذا التخبط لم يزدني إلا إرهاقاً وتعباً مستمر.

(السادس من نوفمبر)

مستقبل مجهول
ماضي مؤلم
بينهما حاضراً تعيس
أركض في ربيع عمري
أركب قطار الأمنياتِ الكاذبة
وأمشي في شوارعِ الذكريات المتمردة
ثم في نهايةِ اليوم أُصارع الأحلام الخائنة
ومر العمر بين التخبط في الماضي
ومحاربة تعاسة الحاضر
من أجل مستقبل مجهول.

(السابع من نوفمبر)

من أنا؟
كتلة من الحزن يقف بقدم واحدة
أنا أملاً ينزف من طعنةِ اليأس
أنا الذي معانته بحجم وطنه
أنا المنزل الذي تعرض للقصف فجثى على
الأرض
أنا الحدائق التي ذبلت أزهارها
أنا الطريق الذي لا يعبره أحد
أنا الحلم المحطم
أنا الأمنية التي لم تتحقق
أنا الذي حفروا لأهدافه وطموحاتهِ أخدود
وأحرقوها

هذا أنا.

(الثامن من نوفمبر)

إختناق قاتل ، إنعزال عن العالم ، دموع
حارقة تتسبب بصداع مزمن ، آهات وشهقات
لاتُسمع ، وهذا الحزن في داخلي يحتلني يوماً
بعد يوم لم يترك شيء من جسدي إلا وجعله
دكاً دكا جعل عظامي رميم ، لم يتبقى إلا القليل
ليُصبح جسدي جثة هامدة.

(التاسع من نوفمبر)

كيف حالك؟!
أُحاول أن أكون بخير مبعثرة من الداخل
فوضى في أعماقي هادئة في الظاهر ملامحي
باردة وقلبي يحترق وروحي تتمزق بحلول الليل
وإختفاء النهار ، وصداع يحطم رأسي يُمزق
أحشائه وجلَّ أمنياتي أن يتوقف نبض قلبي،
وتُفارق روحي جسدي، فلاطاقة لدي لمحاربة
الأيام القادمة .

(العاشر من نوفمبر)

كبُرنا وماعادت قطعة من الشكلاتة تُسعدنا
ولا قطعة من الكعك تجعلنا نبتسم
لم نعد نستعد لمشاهدة البرامج الكرتونية ولم
يعد يُسعدنا مشاهدة بل وسبستيان ولا عدنان
ولينا بات يُدهشنا
كبُرنا ولم نعد ننام عند الساعةِ التاسعة لقد
بات الأرق رفيقنا
كبُرنا وما عادت الالعاب تُفرحنا لقد أصبحنا
لعبة بيدِ الحياة
ماعادت الحياة تضحك في وجوهِنا لقد
أصبحت عابسة وتصفعنا صفعة تلو أخرى.

(الحادي عشر من نوفمبر)

متى تعود؟
يا من غبت عن العين ولم تغب عن القلب
ودعائها نحن ننتظر عودتكَ وكأن العالم ذهب
عندما ذهبت الظلام خيم في المكان والشمس
قد أقسمت بأنها لن تشرق إلا عندعودتكَ
لقد هجرنا النور منذ سنوات، أماحان وقت
عودتكَ فنحن ننتظركَ على أحر من الجمر
لقد قتلنا الشوق إليكَ...أما أنا فأرقبُ الطريق
ولا أمل من الإنتظار، وأما هي فالذي أعاد
يوسف لحضن أبيه سيُعيدكَ لحضنها.

(الثاني عشر من نوفمبر)

يُمطر على قلبي فيض من المدامع ويختبئ على حدود المقلتين ، والسواد القاتم أصبح لون جفوني، وفي الوجدانِ زفرات من الحزن اللا منتهي، الضحكة أصبحت ماضي لايعود وفي داخلي لهيب فُراق يحرقني ، وغدر البعض يُذيب ماتبقى من مشاعري فيحولها إلى نار تلتهم روحي.

(الثالث عشر من نوفمبر)

هذه الكسور لايجبرها إلا صمودي وضعفي
لايُقويه إلا بأن الله معي هو الاقرب إليَّ من
حبل الوريد فلا خوف عليك أيها القلب
فربك يقول ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾
لا تخف
لاترتجف
هو القريب فكل النوائب ستُحل بأمره، فكن
على يقين بأن الله لن ينسانا
ستُفرج بإذن لله.... لاتيأس فقط اصبر
واحتسب أجر صبرك ألم يقل جل جلاله :
﴿وبشر الصابرين﴾.

(الرابع عشر من نوفمبر)

أحوم في ديجور الظلام، احترق ببطئ أجزاء مني أصبحت رماداً مُتناثراً فلا شيء يُعيد ليّ الأمل.... هو الآخر ذهب ومضى وتركني أُبحر في عالم لا أمد له بصله أُجذف في أعماق الظلام ولا أعرف لأي اتجاه أذهب ، وهذا الفراغ أصبح كفجوةِ بركان في أعماقِ يحمل حمم كارثية يوشك على الإنفجار ليحرق ما تبقى مني.

(الخامس عشر من نوفمبر)

ها أنا في منتصفِ أراضي نوفمبر القاحلة
يمضي قطار العمر سريعاً ، ويضع لي أحمال ثقيله فوق أحمالي، فياليته يعود بيّ إلى عمر الصغار فأنا لم أشبع بعد من ضحكاتِ طفولتي ولا من اللعب في طُرقات القرية، مازلتُ لم أشبع من غضب أمي وإنفعالات أبي لتصرفاتي الطفولية ، عود بيّ أيها القطار إلى لحظاتِ البراءة ، عود بيّ إلى الأيام التي لم أكن أحملُ فيها هماً ولاحزناً ...عود بيّ إلى وقت كان أكبر أحزاني فيه ضياع علبةِ ألواني.... عود بي إلى حيثُ الضحكات والصرخات
خذني إلى لحظات فرحي فحقاً لم أعد أُريد ان أكبر

(السادس عشر من نوفمبر)

في طُرقات الحياة صادفتُ رجلاً بلحيةٍ بيضاء تزيدهُ هيبةً ووقار من فمه تُقتبس الحكمة يقول :

"قلبكِ جوهرة ثمينة، حافظي عليها يا إبنتي لاتسمحي لأحد أن ينتقص منكِ، لاتفرطي بجوهرتكِ ، لمن لايستحقها مضغتكِ ثمينة لاتمنحيها ليد مُتسخة، اجعليها تهنأ برغد العيش في طاعة الله والثقة به اجعلِ لسانكِ رطباً بذكر الله. وحياتكِ مُنعمة بكرمه ثقي بالله ولاتخشي أحد فلن يُصيبكِ إلا ما كتبه الله لكِ دعِ كل شيء لله قاومي أحزانكِ ولا تستسلمي لجيوش اليأس وأعلمي ياصغيرتي بأن الجبال لا تهزها الرياح فكن جبلاً لنفسكِ .

(السابع عشر من نوفمبر)

لقد قلت يا دوستويفسكي

" لم أطلب يداً تَمسح دُموع الفزع ولم أُوقظ أحداً ليـُعانقني
كَي أهدأ، عَلام يجب أن أكون مَمنوناً ؟!
لقد عشت أسوأ اللحظات بمُفردي "

أما أنا يا دوستويفسكي

فيد أمي تمسح دُموعي وتربت على قلبي حتى يهدأ من فزعه وتُمهد ليّ الطريق بدعواتها ،وكانت تستيقظ لتعانقني كَي يهدأ قلبي ، و بإبتسامتها وقبلة من فمها ترمم مواطن الجروح تفعل كل هذا دون أن أطلب فعليَّ أن أكون ممنونةً لها إلى الأبد فهي التي تعيش معي أسوأ لحظاتي وبوجودها بجانبي تجعل الحياة دافئة ولوجودها الحياة جميلة.

(الثامن عشر من نوفمبر)

تتشققُ هذهِ الروح و لا تَسمحُ بخروج الحمم البركانية من أعماقها .

(التاسع عشر من نوفمبر)

مرت من هنا فسألتها من تكونين؟
فجأبتني:
"أنا التي أزور قلباً أرهقته الأحزان..
قلباً أسدل عليه الظلام ستارة
وأحاطه اليأس من شتى الجهات
فاجعله يعود نابضاً بالحب
أنا ياصغيرتي الإنعاش لروحكِ المحبطة
أنا التي أجعلكِ بمروري ترقصين مع الحياة
وتحلقين كطيرٍ في السماء أنا السعادة "

لقد ضلت طريقها فمرت بيَّ
فقلبي لم يعرف السعادة لهذا بدأت ملامحها غريبة
ولا أعرفها لم يسبق لها أن مرت من طريقي.

(العشرون من نوفمبر)

عشرون عاماً وعشرون يوماً بين مصارعة اليأس بالأمل والحزن بالفرح والإحباط بالتفائل والفشل بالنجاح كل تلك الصراعات علمتني الوقوف على قدمي رغم التشتت والضياع علمتني كيف أقف بين المجهول والمعلوم بين الحاضر والمستقبل

(الحادي والعشرون من نوفمبر)

"يحزنني فراق الأشخاص الذين كانوا جزء من حياتي
وتركوا فراغاً قاتل بعد رحيلهم، يقتلني أنهم غادروني ولن
يعودوا يوماً ولا نية لهم بالعودة."

" يا لكآبة المكان لا يحتضن إلا ذكرياتك القاتلة، يالقساوة
الطُرقات بعدك "

"أغمس ريشة شوقي إليكَ في محبرة الغياب واكتب بحبر
الحنين والحب رسائل لن تجف حتى ألقاك"

"في غيابك أصبح الهواء يخنقني والماء أصبح سماً"

(الثاني والعشرون من نوفمبر)

نظرتُ إلى صورتكَ فزاد الشوق إلى ملامح وجهك،
أحدثُ الصورة وكأنكَ أمامي، كبرتُ عاماً آخر ولكنكَ
لم تعد تغيرت ملامح حياتي كثيراً ولكنكَ لم تعد أترقب
طُرقات السفر علني أقول "أني لأجدُ يح يوسف" ولكنِ
لا أجدُ أي رائحةً تعيد لي شيء من الأمل بعودتكَ
سوى الأحلام التي ألتقيكَ بها فافيق منها ولا أجدكَ،
أكتب إليكَ فيمتزج الحبر بالدموع وتبكي معنا الحروف
لتسيل دموعها بين السطور
أشعر بشوق عارم يجتاح قلبي..أشتاق صوتك الذي
مرت سنوات منذ أن سمعته ، لستُ أنا وحدي من
تشتاق إليكَ ألف قلب يحارب الشوق بالدعاء لك
بالعودة ، مائة يد تُرفع بعد منتصفِ الليل تتمتمُ بإسمكَ
لمن هو فوق سبع سموات
عللكَ تعود يوماً وتشرق عليهم شمس لقاكَ فتزيل عتمة
هذا الفراق.

(الثالث والعشرون من نوفمبر)

_ غمازة الخد سلاح فتاك ، لا طاقة للقلب بمقاومتها.

_على الخد الأيسر تماماً تُشرق غمازة فتنشر الدفئ على ليلة شتويةشديدةالبرد ،فتذيب جليد الروح ببطئ ،تطرد من القلب أحزانه فتجعل أنهار السعادة تتدفق منه كأنهار الجنة تُعيد ترتيب نبضات القلب، وتجعل للروح أجنحة تُحلق بها بعيداً نحو الأفق. "

"بعضهم يسكن الربيع بين وجنتيه إلا وجنتيك كانت الأزهار تنبتُ فيه"

(الرابع والعشرون من نوفمبر)

تذكر أن أجمل مافي قلبك شموع الأمل الذي تُنير لك
دروب من اليأس والحزن ، لاتجعل أحدٍ يطفئها من قلبك
وتذكر بأن الحياة سفر مخضب بألوان الفرح... ليست دوماً
مرهقة اليوم في حزن، وغداً بإذن الله فرحاً يُنسيك مرارة
هذه الأيام، عواصف التعب لن تبقى إلى الأبد، فستهدأ
كل العواصف من قلبك وتعود إليه الراحة، فقط لرتشف
جرعات الصبر بين كل تنهيدة تكاد تُفتك بك
ولا تنسى قوله عزوجل ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

(الخامس والعشرون من نوفمبر)

إياكم والتعود على اليأس، على الإحباط على الحزن والتنازلات، فالتعود مؤذي يقتل النفس، يُخدر الأحاسيس، يسجن الروح في زنزانة الظلام ، تُفقد نكهة الحياة بالتعود، فإحذروا من التعود فإنه يفقد الشغف بالحياة، فيُصبح المرء ميت وهو على قيد الحياة... العمر واحد والحياة واحده

عيشوا حياتكم بأمل وسلام تمتعوا بكل سنه من حياتكم بالفرح والسعادة، تمتعوا بالعمر وعيشوه بكرامة لاتفقدوا كرامتكم من أجل أحد، عيشوا الحياة وقلوبكم مع الله فلن يخيب الله قلبا أودعَ إليه شتات أمره

(السادس والعشرون من نوفمبر)

حروفي باكية وأوراقي ترتعش وقلمي يعجز عن المشي على السطور حين أُريد الكتابة عنه... لقد طال غيابه أيا ساعة اللقاء متى تأتي؟
يا لحظة عناقي له متى أنتِ قادمة؟
ياشعور فرحة اللقاء متى أنتِ آتيه؟
أيها الغياب أما حان وقت إنتهائك؟
أيتها الغربة اللعينة متى تنتهي ليعود غائبي إليّ !!؟

(السابع والعشرون من نوفمبر)

يا لها من أيامٍ تمر وتنسيني أني كنتُ أحلم، أني كنتُ أطمحُ لشيءٍ أفضل، لحياةٍ مليئةٍ بالسعادة والإنجاز، ولكن الآن يبدو أن كلّ شيءٍ قد تغيّر، وأن الآمال والأحلام قد أصبحت مثل ذلك النص الذي يُكتبُ كل يومٍ وداخلي يحترق لكني أعلمُ أنّ الأملَ لا يموتُ أبدًا، وأنّ النصوصَ الجميلةَ التي نكتبها يوميًا هي بمثابةِ الأمل الذي يشعرُنا بالتفاؤل والإيجابية، وتجعلُنا نستمرُّ في الحياة بكل قوةٍ وعزيمةلذا دعني أقولُ لك: لا تستسلم، ولا تدع نصوصَك تموت، بل اكتب كل يومٍ نصًّا جديدًا، ولا تفقد الأملَ، فيومًا ما ستحقق أحلامك، وتعيش حياةً سعيدةً ومليئةً بالإنجازات، فالأملُ ما زال حيًّا، والحياةُ لا زالت تستحقُّ العيشَ.

(الثامن والعشرون من نوفمبر)

أصبحتُ قادرةً الآن على إحراق أوراق الماضي ،أرفع ستار الحزن الذي أُسدل لأعوام على قلبي ، هذا الستار القديم المليئ بالغبار حان لأشعة الشمس أن تدفئ قلبي ويحلُ عليه بركةِ أشعتها، أفتحُ نوافذ قلبي ليهب عليه نسيم الفرح، وأحلق به نحو السماء، بثقةِ تامة بأنه لايوجد شيء لا يمكن الوصول إليه، جرعة من الثقة بالله تجعل الدروب سهلة وجرعة أخرى من التوكل عليه تجعل الاحلام محققة، والكثير الكثير من ذكر الله يجعل القلب مليئ بطمأنينةٍ،وبآيات من الذكر الحكيم تترتب نبضاته.

"اليوم صلى الأمل في محراب قلبي"

(التاسع والعشرون من نوفمبر)

سأنام بين الأحرف بسبات عميق
ولن تسمعوا لي أنين، سأبصق في كل مرة بوجه الفشل وسأرقص برفقةِ الأمل وسأتمرجح بين النجاح والإبداع ، سأطير بجناح الحب وسأحلق في سماء الطمأنينة،وسوف تعرفونني عندما تجدون نَصًّا عابرا، ستقولون: تلك الكلمات هي مما خطتها أناملُ إيمان مازالت أناملها لا تتوقف عن العزف برفقة قلمها، فلا تزال كلماتها تعمل كإنعاش قلبي لكل قارئ ترتب له نبضات قلبه وإننا نعرف هذه الكلمات جيدًا، ونعرف إيمان إنها فتاة اتخذت من أملها وطناً لا يحتله اليأس أبداً واتخذت من مقولة جدتها "الصبر خير مسكناً دافئاً"

(الثلاثون من نوفمبر)

أصل إلى نهايتكَ يا نوفمبر.. أحتليتَ قلبي رميت عليهِ قنابل ِاليأس، قصفتهُ بالحزن ،شردتَ منهُ الأمل، وهدمت بيوت أحلامي رقصتَ جُنودك ضاحكة فوق جُثث تفاؤلي قتلت طموحي أمام ناظري حفرت لأُمنياتي أخدود وأحرقتها، سجنت ماتبقى مني في سجون التشاؤم ولم تعلم بأن كل خلية فيني كانت تتنفسُ حرية حاربتك وأنا أنزف بكل ما أُوتيت من قوة، كُنت قوياً جداً بكل تفاصيلك كُنت مُثقل بالهموم حتى حين عجزي في مواجهتكَ.. صرختُ بعجز ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا فمدني الله بقوة ولاتخافي ولاتحزني ،أمدني الله بتباشير النصر عليك فكنتُ أتق بنصراً قريب وها أنا أنتصرُ عليك هذه المرة، قاتلتك بقوة ليست مثل كل مرة..هذه المرة انتصرت وحررت مواطن قلبي من يأسك وأحزانك وكل الالآلم التي أرسلتها لقتلي

ها قد عاد الأمل إلى موطنه، منازل أحلامي عادت شامخة، هدمتُ سجانك، شيعت جثة طموحي كما يليق به بعد أن قتلته، كان قد ترك لي طموحاً قوياً لأعتني به وها أنا اليوم أمضي معه وتلك الرقصات التي كان جيشك يرقُصها ترقص اليوم جنود تفاؤلي بإستعراضات تفاؤليه لم يسبق لتاريخ قلبي أن شاهدها شعباً بأكمله من الفرح، ها أنا ذا أنتصر عليك بكل إبتهاج، بدأت إحتفالات النصر أردت أن أستمتع وأنا أودعك منهزماً حاملاً معك تلك الأحزان والثقوب والخدوش التي رميت قلبي بها، طاردًا إحتلالك من أراضي قلبي الطاهرة ليحل عليها ديسمبر بإبتهاج وإبتساماتٍ ليست لنهاية سنة، بل لبداية سنة إن ديسمبر عندي هو البداية فأهلاً بك يا ديسمبر.

(الخاتمة)

وفي النهاية

هناك باقة شكر ممزوجة بكل حب وتقدير
للكاتبة القديرة /زهرة حبيب تشرين
الكاتبة/منال عبدالله
حافظ الحُريبي
محمد مقبل يحيى

في غابة فُؤادي قتال بين ذئاب من اليأس
والحزن وَالإحباط وَ الألم تُرعبني تخرزُ أنيابها
على بقايا الأمل، وتلتهم فرحي ، تقتل أي
تفاؤل يقترب، إنها تلوث فُؤادي بالدماء